

بورسيبا... آثار تاريخية ذات قداسة دينية للعراقيين

المصدر:

<http://www.al-monitor.com/pulse/ar/originals/2016/08/borsippa-babylon-iraq-unesco.html>



العراق، بابل - مع تواصل [الاستعدادات](#) لإدراج بابل على [لائحة التراث العالمي](#) في عام 2017، فإن [موقع مدينة بورسيبا](#) (604 - 562 قبل الميلاد) الذي يقع على بعد 25 كيلومتراً عن أطلال [مدينة بابل التاريخية](#)، على رأس الصدارة في الانضمام إلى اللائحة العالمية، لأن أي تغيير أو إضافات عمرانية خارج مواصفات الـ"يونسكو" لم تطرأ عليه، فقد ظلّ كما هو عليه منذ آلاف السنين، وفق مدير آثار بابل حسين فليح، في حديثه إلى "المونيتور" في بابل، حيث أكد أنّ "مديرية الآثار حريصة على عدم إجراء أيّ تغيير من شأنه أن يقلل من قيمة الموقع التاريخية، مثلما تحرص على تكثيف الحماية الأمنية له".

ويستطرد بالقول إنّ "العمل على ضمّ بورسيبا إلى لائحة التراث العالمي يتطلّب منهم، المحافظة على [التلال الأثرية](#) التي تضمّ آثاراً ثمينة لم ينقّب عنها بعد، وإدامة [البرج العالي](#) بطريقة علمية، ومنع انهياره، من دون المساس بهيكلة الأصلي، والشروع في حملة إعلامية للتعريف بهذا الأثر القديم".

وإذا كانت مدينة بابل تعجّ بالسّواح الذين يرومون استكشاف آثار التاريخ، فإنّ بورسيبا لها أهمية تاريخية وميثولوجية في آنٍ واحد، ناتجة عن شيوع الاعتقاد بأنّها "المكان الذي شهد [صراع النبي ابراهيم مع الملك الوثنيّ النمرود](#) وفق المصادر الدينية"، بحسب رجل الدين هيثم الياسري من بابل في حديثه إلى "المونيتور" في بابل، ليقول أيضاً إنّ "بسبب السياحة الدينية والأثرية في آنٍ واحد، تفوّقت بورسيبا على بابل في أعداد الزائرين".

ووفق ذلك، فإنّ الزائر لبورسيبا، يلاحظ أنّ الموقع انقسم إلى قسمين، الأوّل هو الهضبة التي بني عليها [مسجد كبير](#) تحيط به البساتين وتعلوه قبة خضراء بارتفاع عشرة أمتار، يقول عنه الياسري إنّ "بني تحت مغارة اختفى فيها النبي ابراهيم لحظة ولادته بعدما أوصى الكهنة الملك النمرود بقتله لأنّه سوف يمثل خطراً عليه وعلى ملكه حين يكبر".

وعلى مسافة كيلومتر من أرض منبسطة، يطلّ القسم الثاني وهو [التلّ الأثريّ](#) الذي تنتصب فوقه زقورة بارتفاع 47 متراً عن سطح الأرض، يقول عنها الياسري إنّها "مكان المحرقة التي أنشأها الملك النمرود لإحراق النبيّ ابراهيم".

ويقول المهتمّ في الآثار والأنثروبولوجي [حميد صبار الفهداوي](#) في حديثه إلى "المونيتور" في بابل، إنّ "الزقورة في أسفل البرج هي معبد [الإله نبو](#)، الإله الأعظم لمدينه بابل، وهي رمز وثنيّ، ويقابلها مسجد هو مقام النبيّ ابراهيم، ممّا يدلّ على أنّ أهل هذه المنطقة يؤمنون بتعدّد الثقافات".

ويعلو الزقورة حائطان مرتفعان وضيّقان بارتفاع 12.5 أمتار، يقول عنهما الفهداوي إنّ "المصادر التاريخيّة تؤكّد أنّهما بقايا [برج بابل](#) الذي وردت له إشارات في سفر التكوين التوراتيّ، وقد بناه الملك النمرود لأجل محاربة ربّه من علوّ". ويضيف: "مهما اختلفت التفسيرات، فإنّ الإنسان يسعى إلى جعل برج بابل يلوح في الأفق كحقيقة واقعيّة". وعلى هذا النحو من التفسيرات لرموز بورسييا الباقية، تختلط الميثولوجيا بالتاريخ.

وقد زار "المونيتور" هذا التلّ، بصحبة المخرج السينمائيّ [حسين عليّ](#) الذي يعدّ فيلماً وثائقياً كجزء من الاستعدادات الإعلاميّة الترويجيّة لضمّ بورسييا إلى لائحة التراث العالميّ. ويقول عليّ إنّ "هذا الموقع بحسب خبراء آثار شاركوا بأرائهم في الفيلم، مرشّح قويّ للانضمام إلى اللائحة، لأنّ أيّ تجديد مخالف لقياسات الـ"يونسكو" لم يحدث".

وبدا المكان حافلاً بالزوّار الذين يقصدون المكان لأغراض السياحة الدينيّة والأثريّة على السواء، فيقول سعد الحسيني، وهو معلّم من بابل لـ"المونيتور" إنّ "زيارته للموقع هي للاطلاع على آثار تاريخيّة، عاصرها النبيّ ابراهيم".

وفي الحقيقة، فإنّ أغلب الزائرين للمكان يندفعون من مقاصد دينيّة، ولهذا فإنّهم ما إن يزورن تلال بورسييا، حتّى يقصدوا مسجد النبيّ ابراهيم عبر السهل المنخفض بين الموقعين.

والمشاهدة للمكان لا تشير إلى أيّ أعمال تنقيب حديثة فيه، منذ أعمال [التنقيب الأولى](#) في عام 1902 على يدّ عالم الآثار الألمانيّ روبرت كولدواي، فيما كانت [آخر التنقيبات](#) التي أجريت في المنطقة في عام 1990 من قبل بعثة نمساويّة. وإذا كان المكان قد نجح في تجنّب أعمال الإعمار الخارجة على مواصفات الـ"يونسكو"، إلّا أنّه لم ينجح من أعمال التنقيب غير المشروعة، ويمكن ملاحظة ذلك في العشرات من الحفر التي أحدثها المهزّبون.

كما أنّ المكان يشكو من غياب الخدمات، والحماية المتطوّرة من الظروف الطبيعيّة مثل تعرية الرياح وانجراف التربة بفعل الأمطار، والتي تسبّبت في مارس/آذار 2016 في [ظهور](#) قطع أثريّة على سطح التلال الرغوة، لكنّ شرطة الآثار نجحت في جردها وتسليمها إلى المتحف الوطنيّ. وكان الأمر قد تكرّر في كانون الأوّل/ديسمبر 2013، حين [كشفت](#) الأمطار الغزيرة الجارفة عن 114 قطعة أثريّة في الموقع.

وقد أكّد مدير آثار بابل لـ"المونيتور" فليح (ورد ذكره في صدر التقرير متّى صرح لـ"المونيتور" وأين)، "وجود خطّة حكوميّة لإعادة تأهيل المواقع الأثريّة في الكثير من مدن العراق وفي مقدّمتها بورسييا، حيث تمّ توفير حماية كاملة لها من احتمال التلاعب بجغرافيتها أو التنقيب غير الشرعيّ فيها، تمهيداً لضمّها إلى اللائحة العالميّة".

إنّ ضمّ بورسييا إلى لائحة التراث العالميّ سوف يسهم في لفت أنظار العالم إلى هذا الصرح التاريخيّ، كما سيوفّر دعم الـ"يونسكو" للتنقيب فيه، ويحميه من أيّ طمس لمعالمه، لكن ما هو أهمّ أن يكون هناك اهتمام وطنيّ فيه، عبر الاستفادة من خبرات علماء الآثار ودارسي التاريخ العراقيين الذين يفتقدون إلى المؤسّسات أو الفعاليّات التي تستفيد من خبراتهم.